أسماء الله الحسنى
(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)
اللقاء الرابع عشر

يختبر الله الإنسان وقدرة احتماله بأن يبتليه بجسده، فيصابُ بمرضٍ ما، يثقل كاهله وروحه، فإن صبر نال رضا الله، وفاز بجنّته، وإن شكى وتذمّر كان خاسراً وحزيناً، فعليه أن يتحلّى بالصّبر والتجلّد، لعلمه أن الابتلاء سنة ربانية ماضية، فهي من مقتضيات حكمة الله ـ سبحانه ـ وعدله، في الفقر والغنى، والصحة والمرض، والخوف والأمن، والنقص والكثرة، بل وفي كل ما نحب ونكره، لا نخرج من دائرة الابتلاء (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الأعراف:168].

(وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء:35]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال".

والابتلاء بالمرض بشتى صوره؛ مِن الهمّ والحزن، ومِن الآلام الجسدية التي تصيبهم، يبتليهم -سبحانه- بذلك ليستخرج منهم عبودية الضراء، ويُظهر مِن آثار أسمائه وصفاته ما لم يَظهر لأكثر العباد في حال السَّراء.

والعاقل يجب عليه أن يوقن، أن الأشياء كلها قد فرغ منها، وأن الله سبحانه، قدر صغيرها وكبيرها، وعلم ما كان وما سيكون وأن لو كان كيف يكون، (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [الأنعام:38].

قال رسول الله ﷺ: " إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ " صحيح أبي داود

والمريض إذا علم أن هذا شيء مكتوب ومقدر، وأنه عند الله في اللوح المحفوظ مسطوراً من قبل أن يخلق هو، بل من قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ صبر وتصبر ورضي واسترجع وحمد الله على ما قدر وشاء.

فالمقادير كائنة لا محالة، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه، وإذا قدر على المرء الشدة والبأساء والضراء، وأحاطت به الأمور، فيجب عليه حينئذ أن يتزر بإزار له طرفان: أحدهما الصبر، والآخر الرضا، ليستوفي كامل الأجر لفعله ذلك، فكم من شدة قد صعبت، وتعذر زوالها على العالم بأسره، ثم فرج عنها بالسهل في أقل من لحظة.

قيل للحسن: يا أبا سعيد، من أين أتي هذا الخلق (قلة الصبر على اللواء وضيق العيش)؟ قال: من قلة الرضا عن الله؟ قيل: ومن أين أتى قلة الرضا عن الله؟ قال: من قلة المعرفة بالله.

✉ولما جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج ليقتله، بكى رجل فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك، قال سعيد: فلا تبك إذا، لقد كان في علم الله أن يكون هذا الأمر، ثم تلا: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَـابٍ مّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا) [الحديد:22].

✉وما يصيب الإنسان، إن كان يسره فهو نعمة بينة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة؛ من جهة أنه يكفر خطاياه ويثاب عليه، ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [البقرة:216].

✉والمؤمن في حال سرائه وضرائه، يستحضر قولَ نبيه ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤمنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم، فالمؤمن يحمد ربَّه على كل حال، ويتقلب بين عبوديتي الصبر والشكر.

📝المؤمن ينظر إلى الابتلاء على أنه نعمة عظيمة، وهذه النعمة يَمُنُّ الله بها على عباده المؤمنين خاصة؛ فإنه كلما كان الإنسانُ إلى الله أقرب أنزلَ عليه من البلاء ما يُكفِّر به ذنوبه، ويرفعه درجات عالية حتى يكون عند الله من المُقرَّبين.

عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال ﷺ: «قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثَلُ، فيُبتلى الرَّجلُ على حسْبِ دينِه، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتليَ على حسْبِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ ما عليْهِ خطيئةٌ» [صحيح الترمذي].

📝إنَّ الابتلاء يكون نِعمةً عظيمة إذا تلقَّاه المؤمنُ بالصبر والاحتساب عند الله تعالى، ونَظَرَ إليه على أنه من مُحِبٍّ لِمَحْبوبه، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فالله سبحانه يُحبُّ عبدَه المؤمن حُبًّا عظيماً، ومع هذا؛ فإنه يُنزل عليه من البلاء ما لا تُطيقه عادة البشر.

📝والابتلاء فيه فائدةٌ عظمية تَعُود على المؤمن في دِينه ودُنياه؛ فتتربَّى نفسُه على الصبر، ويقوى بذلك إيمانُه.

📝والرِّضا بالبلاء يجعل المؤمنَ دائم الاتصال بالله، فهو مُتَّصِلٌ بربه في السراء والضراء، وفي جميع أحواله، فتتحوَّل حياتُه إلى عطاءٍ دائم، فلا يعرف الجَزَعَ ولا القنوط.

✉أخواتي الحبيبات إن البشر قاطبة مجمعون على أن الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى، وأن الصحة والعافية، نعمة مغبون فيهما كثير من الناس.

✉الأمراض والأسقام، أدواء منتشرة انتشار النار في يابس الحطب، لا ينفك منها عصر، ولا يستقل عنها مصر، ولا سلم منها بشر؛ إذ كلها أعراض متوقعة، وهيهات هيهات أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يصب أحد بسيلها الطام، ضربه رشاشها المتناثر هنا أو هناك.

ثمانية لا بد منها على الفتى:

ثَمَانِيَةٌ تَجْرِيْ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلا بُدَّ لِلإِنْسَانِ يَلْقَى الثَّمَانِيَهْ

سُرُوْرٌ وَحُزْنٌ، وَاجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَعُسْرٌ وَيُسْرٌ، ثُمَّ سُقْمٌ وَعَافِيَهْ

الناسُ مع المرضِ أحوالٌ شتى مُتَفَاوِتونَ، منهم المأجورُ ومنهم المأزور، قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» [صحيح ابن ماجه: 3272]، ولذلك كانَ لأهلِ الإيمانِ مع المرضِ شأنٌ آخرُ سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَشَدُّ الناسِ بَلاءًا؟، قال: الأنْبياءُ، قِيلَ: ثُمَّ مَنْ؟، قال: العلماءُ ، قِيلَ : ثُمَّ مَنْ ؟، قال: الصَّالِحُونَ، وكان أحدُهُمْ يُبْتَلَى بِالقَمْلِ حتى يَقْتُلَهُ، ويُبْتَلَى أحدُهُمْ بِالفَقْرِ حتى ما يَجِدُ إلا العَباءَةَ يَلْبَسُها، ولأحدُهُمْ كان أَشَدَّ فَرَحًا بِالبلاءِ من أَحَدِكُمْ بِالعَطَاءِ» [صحيح الترغيب الألباني]، وذلك لأنهم يعلمونَ بمحبةِ اللهِ تعالى لأهلِ البلاءِ ... وعزاؤهم في ذلك قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، وعزاؤهم يقينهم بعِظَمِ أجر الصابرين عند البلاء» [الترغيب والترهيب: 223/4].

يقول إبراهيم عليه السلام (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه. الطبري

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا. أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه. ابن كثير

مرضك لا يعني أن الله لا يحبك حتى خليل الرحمن يمرض. د. عبد الله بلقاسم

الأمراض والأسقام، هي وإن كانت ذات مرارة وثقل، وآلام ووجع، إلا أن الباري ـ جل شأنه ـ، جعل لها حكما وفوائد كثيرة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

ولقد حدث ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن نفسه في كتابه ((شفاء العليل)) أنه أحصى ما للأمراض من فوائد وحكم، فزادت على مائة فائدة، وقال أيضا: "انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض، أمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها". انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

فوائد المرض:

1- إن الابتلاء بالأمراض والأسقام، قد يكون هبة من الله ورحمة، ليكفر بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، ففي الصحيح عنه - ﷺ - قال: «ما يصيب المؤمنَ مِن وَصَب(مرض)، ولا نَصَب(تعب)، ولا سَقَم، ولا حزن - حتى الهم يهمه - إلا كُفِّر به من سيئاته» (صحيح مسلم)، وفي هذا بشارة عظيمة، قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس، وقال - ﷺ -: (وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ). السلسة الصحيحة، ليس لنفس البلاء، بل لعظم الجزاء والثواب والرفعة التي لا يبلغها إلا بهذا الذي أصابه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زهير قال: أُخبرت أن أبا بكر- رضي الله عنه - قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123] فكل سُوءٍ عملنا جُزِيْنَا به؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكرٍ، أَلَستَ تَمرَضُ؟ أَلَستَ تَنصَبُ؟ أَلَستَ تَحزَنُ؟ أَلَستَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ [الشدة وضيق المعيشة]؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَهُوَ مَا تُجزَونَ بِهِ».

❍قال ابن عبد البر: (الذنوبُ تكفِّرُها المصائبُ والآلامُ والأمراضُ، وهذا أمر مجتَمَعٌ عليه).

قال - ﷺ -: (مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ). صحيح الجامع

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس- رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

✉وقد استأذنتِ الحُمى على النبي - ﷺ - فقال: من هذه؟ قالت: أمُّ مِلْدَمٍ فأمرَ بها إلى أهلِ قُباءٍ فلقوا منها ما يعلمُ اللهُ فأتوه فشكوا ذلك إليه فقال: ما شئتم: إن شئتم دعوتُ اللهَ فكشفَها عنكم وإن شئتم أنْ تكونَ لكم طهورًا؟ قالوا: أو تفعلُ؟ قال: نعم قالوا: فدعْها. رواه أحمد والحاكم بسند جيد.

❁وهَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ - ﷺ -، فَقَالَتْ: إِنِي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ تَعَالَى لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَكِ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفُ، فَدَعَا لَهَا. متفق عليه.

وقال - ﷺ -: " مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى؛ مَرَضٌ فَما سِواهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ له سَيِّئاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها ". صحيح البخاري

وقال رجل لرسول الله - ﷺ -: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ هذه الأمراضَ الَّتي تُصيبُنا ما لنا فيها؟ قال: كفَّاراتٌ، فقال أبيُّ بنُ كعبٍ: يا رسولَ اللهِ وإن قلَّتْ؟ قال: وإن شوكةٌ فما فوقها " رواه أحمد.

ولقد عادَ - ﷺ - مريضًا، ومعَهُ أبو هُرَيْرةَ من وَعكٍ كانَ بِهِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ - ﷺ -: أبشِر فإنَّ اللَّهَ يقولُ: هيَ ناري أسلِّطُها على عَبدي المؤمنِ في الدُّنيا، لتَكونَ حظَّهُ منَ النَّارِ، في الآخرةِ. صحيح ابن ماجه والوعك: هو الحمى.

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر- رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ».

❁وهناك من النَّاسِ من كتبَ اللهُ -تعالى- له منـزلةً عظيمةً في الجنَّةِ، ولكنَّه لم يَصلْها بعملِه، فعندَها يأتي المرضُ رحمةً من ربِّ العالمينَ سببًا لرفع منزلة المريض في الآخرة قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْـزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» صحيح أبي دواود

روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «إِنّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ المَنزِلَةُ عِندَ اللهِ فَمَا يَبلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبتَلِيهِ بِمَا يَكرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ذَلِكَ».

❁ونبينا محمد - ﷺ - سيد الأولين والآخرين، والمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ابتلي بالمرض رِفعَةً لدرجاته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَجَلْ».

❁بل إن النبي- ﷺ - في مرضه الذي مات فيه أُغمي عليه ثلاث مرات، قالت عائشة - رضي الله عنهما - كما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -».

✉النِّعمةُ الحقيقية هي بالسعادة الأُخروية أو ما يُوصِل إليها، إذْ كلُّ نعمةٍ لا تُقرِّب من الله تعالى فهي بَلِية وليست بنعمة، فقد يكون الابتلاء نعمةً عظيمة، كيف لا وهو يقربنا لعرش الرحمن.

❷- ومن فوائد المرض: ظهور عبودية الصبر، ومَن رُزق الصبر فليبشر بموعود الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: 10]، وإذا كان الذي سيُكرم الصابر، ويَعِد عبدَه بعطاء لا عد له ولا حساب هو أكرم الأكرمين؛ فما ظنك بعطائه وجوده سبحانه وتعالى؟! وقد قال - ﷺ -: "وما أُعطي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر". متفق عليه

❸- ومن فوائد المرض: تعلُّق القلب بالله -جل وعلا-، وانقطاعه من الخلق، فالمريضُ يدعو ربَّه مخلصاً له الدين، فيستخرج اللهُ بهذا المرض عبوديةَ الدعاء وعبودية الاضطرار، فيَحدث للعبد من التضرع والتوكل وإخلاصِ الدعاء ما يزيد إيمانَه ويقينه، ويحصل له من الإنابة وحلاوة الإيمان وذوق طعمه ما هو أعظم من زوال المرض، لا يتعلق المؤمنُ المريض بغير ربه -عز وجل-، لا بكاهن ولا بساحر بل ولا بطبيب، بل يفعل المؤمن المريض ما أُمِر به من أسبابٍ شرعية، ويُنزل حاجته بالله وحده، حاله كحال نبي الله أيوب الذي قال الله عنه: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)[الأنبياء: 83-84] فسبحانك ربي ما أرحمك!

❹- ومن فوائد المرض: ردُّ العبدِ إلى ربه وتذكيرُهُ بمعصيته، وإيقاظه مِن غفلته: فالمرض والمصائب تردُّ العبدَ الغافلَ إلى ربه، وتَكُفُّهُ عن معصيته، لأنه إذا ابتلاه اللهُ بمرضٍ أو غيره استشعر ضعفَهُ وذُلَّهُ وفقره إلى مولاه، وتذكَّر تقصيره في حقه، فعاد إليه نادما، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام:42].

❍قال شيخ الإسلام: (مصيبةٌ تُقبِلُ بها على الله، خيرٌ مِن نعمة تنسيك ذكر الله).

❺- ومن فوائد المرض: طهارة القلب من الكِبر والخُيلاء، والعجب، والحسد، وسائر الأمراض القلبية، فلو دامت للعبد جميعُ أحواله لتجاوز وطغى، ولكن الله -جل وعلا- يرحمه بالمرض، ويرحمه بما يبتليه من الأسقام والآفات ليكسره، وليعرّفه قدْره، واضطراره لربه، فإذا انكسر القلبُ لله -عز وجل-، وحصل القربُ من الله، فقد نال لذة من أعظم اللذات، وهي الانكسار والقرب من الله، فحينئذ إذا دعا وقلبه منكسر وهو مضطر فهو أقرب إلى الإجابة، وهذه من أعظم الفوائد والبركات.

❻- ومن فوائد المرض: أن المريض يتعبد لله -عز وجل- بعبادة جليلة ألا وهي: انتظارُ الفرج، الذي يجعل قلب العبد متعلقًا بالله وحده، وهذا ملموس وملاحَظ على أهل المرض والمصائب، خصوصاً تلك الأمراض التي يقال عنها: إنها مستعصية أو فيها خطر كبير، فينقطع تعلق القلوب من جهة الخلق؛ ولا يبقى للقلب تعلق إلا بالله وحده، فحينئذ يجد المريضُ نفسَه بلسان الحال والمقال يقول: يا رب! يا رب! يا رب! ليس لها من دونك كاشفة! فيحصل له بإذن الله تعالى مطلوبُه، وينفرج عنه الكرب إن شاء الله.

✉وقد ذُكر أن رجلاً أخبره الأطباءُ بأن علاجَه أصبح مستحيلاً بأيديهم، وأنه لا يوجد له علاج عندهم وفي علمهم، وكان مريضاً بالسرطان، فألهمه الله -عز وجل- الدعاء والتضرع في لحظات الأسحار، فشفاه الله -عز وجل- بعد حين، وسمع دعاءه وأجاب سُؤْلَه: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا) [يوسف:110].

❼- ومن فوائد المرض: أن يعرف العبدُ مقدارَ نعمةِ العافية ونعمة الصحة، فإن العبد إذا تربى في العافية فلا يعلم - غالبًا- ما يقاسيه المبتَلى، ولا يعرف مقدار النعم التي يعيشها، فإذا ابتُلي أو سلبت عنه العافية ولو مؤقتًا؛ كان أكثر همّه العودة إلى حاله الأولى، فلولا المرض ما عرف قدر الصحة، ولولا الليل ما عرفت نعمة النهار، ولولا الشتاء ما تمنى الناس الصيف، وهكذا ... لولا هذه الأضداد لما عُرفت كثيرٌ من النعم، فكل مريض يجد مَن هو أشد مرضاً فيحمد الله.

❽- ومن فوائد المرض: تذكيرك بحال إخوانك المرضى: الذين طالما غَفَلْتَ عنهم في حال الصحة والسلامة، فيدعوك ذلك إلى القيام بحقوقهم، وزيارتهم، وقضاء حوائجهم، والتخفيف عن مصائبهم ومواساتهم، والسعي في أسباب الشفاء لهم، والدعاء لهم بالعافية، إلى غير ذلك.

❾- ومن فوائد المرض: أن الله يستخرج به عبوديةَ الشكر، فإن العبد إذا ابتُلي بعد الصحة بالمرض، وبعد القرب بالبعد؛ اشتاقت نفسُه إلى العافية، ثم اشتاقت إلى التعرض إلى نفحات الله -عز وجل- بالدعاء، فإنه " لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ " صحيح الترمذي

❿- ومن فوائدِ المرضِ أنَّ اللهَ تعالى يكونُ قريبًا من المريضِ يرحمُه ويجيبُ دعاءَه ويُثيبُ زوَّارَه والقائمين عليه ولذلك تحتفي الملائكةُ بعائدِ المريض، بل ويعتبُ سبحانَه على من تركَ عيادة المريض؛ كما جاءَ في الحديثِ: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ». صحيح الجامع

❍فإذا منح اللهُ العبدَ العافيةَ عرف قدْر تلك النعمة؛ فلهج بشكره -عز وجل-، شكر مَن عرف المرض وباشر وذاق آلامَه، لا شكر مَن عرف وصْفه ولم يُقاسِ ألمه.

وهكذا نعلم النتائج الإيجابية التي يثمرها المرض، ونعلم أن مذاقه كالصبر، ولكن عواقبه أحلى من الشهد المصفى، فلماذا يجزع أحدنا من المرض يصيبه، أو يسبه ويشتمه، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ، تُزَفْزِفِينَ؟ أي: تَرْتَعِدِينَ، قَالَتْ: الْحُمَّى لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: لا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ». صحيح مسلم

ولقد أصاب أحد السلف مرضٌ في قدمه فلم يتوجع ولم يتأوه، بل ابتسم واسترجع فقيل له: يصيبك هذا ولا تتوجع؟! فقال: إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه.

فلا يظن مما سبق، أن المرض مطلب منشود، لا وكلا، فإنه لا ينبغي للمؤمن العاقل أن يتمنى البلاء، ولا أن يسأل الله أن ينزل به المرض؛ المؤمنُ مطالَبٌ دوماً بسؤال الله العافية، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ –أيْ: ضَعُفَ- فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟ ، قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ لا تُطِيقُهُ أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ، أَفَلا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ».صحيح مسلم

✿الواجب علينا أن نسأل اللهَ تعالى العافيةِ فعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ! سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». صحيح الترمذي

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ - حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي» رواه ابن ماجه.

✿سؤال الله العفو والعافية من خيرِ ما يَسألُ المسلمُ ربّه في دعائه، قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنْ الْعَافِيَةِ». سنن الترمذي

✿ولذلك كانت العافيةُ من النعمِ التي لا يَعدِلُها شيئًا، قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا».صحيح الجامع

ولا يُدرك هذه الحقيقة مَن فاتته بعضُ العافية في وقتٍ من الأوقات أو حالٍ من الأحوال، ووفقه الله -عز وجل-، فاللهم إنا نسألك العافية في الدين والدنيا والآخرة.

وقال مطرف: "لأن أُعافى فأشكر أحب إلي من أن أُبتلى فأصبر".

ومن هنا نعلم جيدا، أن المرض ليس مقصودا لذاته، وإنما لما يفضي إليه من الصبر والاحتساب وحسن المثوبة، وحمد المنعم على كل حال.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ: "المصائب التي تجري بلا اختيار العبد، كالمرض، وموت العزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله، إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة، يكفر بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها" اهـ. كلامه ـ رحمه الله ـ.

ويقول التابعي سَعِيدِ بنِ وَهْبٍ رحمه الله: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ رضي الله عنه، وَعَادَ مَرِيضًا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا (أي: يذكر الإنسان بنفسه فيعاتبها ويحاسبها)، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ؛ عَقَلَهُ أَهْلُهُ؛ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ؛ فَلا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ.

إن الإسلام حين يرغب في الصبر على البلوى، ويبين ما تنطوي عليه الأسقام من آثار شافية، وحكم كافية، فلا يفهم مخطئ أنه يمجد الآلام، ويكرم الأوجاع والأوصاب، إنما يحمد الإسلام لأهل البلوى وأصحاب الأسقام، رباطة جأشهم وحسن يقينهم (مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَـاكِراً عَلِيماً) [النساء:147].

اشتكى عروة بن الزبير الآكلة في رجله، فقطعوها من ركبته، وهو صامت لم يئن، وفي ليلته تلك سقط ولد له من سطح فمات، فقال عروة: اللهم لك الحمد، كانوا سبعة من الولد فأخذت واحدا وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت لقد عافيت.

فرحم الله عروة وغفر له، لم يجزع، بل صبر، لا بل رضي، لا بل بلغ الإحسان وشكر، فلقد كان بعض المرض عنده أخف من بعض، وبلاؤه أهون من بلاء غيره، فهان عليه مرضه، وهانت عليه بلواه.

وينبغي للمريض أن يتنبه لأمرين إذا تأملهما هانت عليه مصيبته وخفَّ همه وغمه:

❶- أن هذه المصيبة لم تكن في دينه؛ لأن المصيبة في الدين يجني صاحبها الآثام والعقوبات.

❷- أن مصيبته أخفُّ وأهون من مصيبة غيره، فلو سأل أو نظر إلى من حوله من المرضى لرأى من هو أشد منه ألمًا.

قال شريح: ما أصابتني مصيبة إلا حمدت الله تعالى عليها لأربع:

1- أن الله رزقني الصبر عليها.

2- أن الله رزقني الاسترجاع عندها.

3- أن الله لم يجعلها أكبر منها.

4- أن الله لم يجعلها في ديني.

إن الأسقام إذا استحكمت وتعقدت حبالها، وترادفت حلقاتها وطال ليلها، فالصبر وحده هو العاصم بأمر الله من الجزع عند الريب، وهو الهداية الواقية من القنوط عند الكرب، فلا يرتاع المؤمن لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعتها أخرى وثالثة، خاصة أن الإنسان يتجاهل الحقائق، فيدهش للصعاب إذا لاقته، فينشأ له من طبعه الجزوع، ما يبغض إليه الصبر، ويجعله في حلقه مر المذاق، ويتضايق فلا يصبر على البلاء: قال تعالى (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءايَـاتِى فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ) [الأنبياء:37].

الصبر على البلاء والمرض: واجب، قال شيخ الإسلام: (الصبر على المصائب واجبٌ باتفاق أئمة الدين).

وقال ابن القيم رحمه الله: (الصبر على المصائب واجبٌ بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان، نصفُ صبرٍ، ونصفُ شكر)، ثم قال: (والصبر يتحقق بثلاثة أمور: حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى للخلق، وحبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر).

وهناك أسباب وأمور تعين على تحصيل الصبر على المرض، منها:

1- العلم بأن المرض مُقَدَّرٌ مِن عند الله: قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} [التوبة:51]. وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:11].

قال علقمة: (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم).

2- أن تتيقن أن الله أرحمُ بك من نفسِكَ، ومن الناس أجمعين، قال تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام:54].

وقال -ﷺ-: (للَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) متفق عليه، فإذا علمت أن الله أرحم بك من نفسك، دعاك هذا إلى الاستسلام لما يقضيه، والصبر على تدبيره.

3- أن تعلم أن حق الله عليك في هذه البلوى هو الصبر، فهو عبودية الضرَّاء.

4- أن تتذكر فوائد المرض وثمراته التي مرت معنا.

5- تَذَكُّرُ الموتِ، وسرعة الانتقال عن هذه الدار: فضيق المرض يُهَوِّنُ عليه ذكر الموت، كذلك يوسع عليه لعلمه بالثواب والأجر، فعن أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ) صحيح الجامع

وقال عمر بن عبد العزيز: (إذا كنت من الدنيا فيما يسوؤك، فاذكر الموت يسهل عليك).

6-علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهي محل للأنكاد والأسقام والأحزان، قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد:4].

📃واستمعوا حبيباتي إلى ما قصه رسولنا ﷺ عن مرض أيوب ـ عليه السلام ـ، قال ﷺ: " إنَّ أيُّوبَ نبيُّ اللهِ لمَّا لبِث في بلائِه ثماني عشرةَ سنةً، فرفضه القريبُ والبعيدُ إلَّا رجلَيْن من إخوانِه كانا يغدُوان إليه ويروحان، فقال أحدُهما لصاحبِه: تعلمُ واللهِ لقد أذنب أيُّوبُ ذنبًا ما أذنبه أحدٌ من العالمين. فقال له صاحبُه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرةَ سنةً لم يرحَمْه اللهُ فيكشِفْ ما به، فلمَّا راح إليه لم يصبِرِ الرَّجلُ حتَّى ذكر ذلك له. فقال أيُّوبُ: لا أدري ما تقولُ، غيرَ أنَّ اللهَ يعلمُ أنِّي كنتُ أمرُّ على الرَّجلَيْن يتنازعان فيذكُران اللهَ وأرجِعُ بيتي وأُكفِّرُ عنهما كراهيةَ أن يُذكَرَ اللهُ إلَّا في حقٍّ، قال: وكان يخرُجُ إلى حاجتِه، فإذا قضَى حاجتَه أمسكَتِ امرأتُه بيدِه، فلمَّا كان ذاتُ يومٍ أبطأ عليها، فأوحَى اللهُ إلى أيُّوبَ في مكانِه "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ "[ص : 42] فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب اللهُ ما به من البلاءِ فهو أحسنُ ما كان، فلمَّا رأته قالت: أيْ بارك اللهُ فيك، هل رأيتَ نبيَّ اللهِ هذا المُبتلَى واللهِ على ذلك، ما رأيتُ أحدًا كان أشبهَ به منك إذ كان صحيحًا قال: إنِّي هو، وكان له أندَران(مَخْزَنان) أَندَرُ القمحِ وأندَرُ الشَّعيرِ، فبعث اللهُ سحابتَيْن فلمَّا كانت إحداهما على أَندَرِ القمحِ أفرغت فيه الذَّهبَ حتَّى فاضت، وأفرغت الأخرَى على أندَرِ الشَّعيرِ الورِقَ حتَّى فاضتْ " رواه ابن حبان والحاكم وصححه الذهبي.

قال ابن كثير - رحمه الله -: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه».

📁وكثيرا ما تكون الآلام طهورا يسوقه الله بحكمته إلى المؤمنين الصادقين لينزع منهم ما يستهوي ألبابهم من متاع الدنيا، فلا يطول انخذاعهم بها أو ركونهم إليها، ورب ضارة نافعة، بل كم من محنة محوية في طيها منح ورحمات مطوية.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة

✉واعلموا أن ثمة أمور يجب أن يعرفها المرضى، فمنها: البشرى لكل مريض أعاقه مرضه عن القيام بالسنن والنوافل التي كان يواظب عليها إبان صحته، بأنها مكتوبة له لا يضيع أجرها، قال رسول الله ﷺ: " إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا". رواه البخاري

✉كما ينبغي التنبه إلى ما يقع فيه بعض المصابين بالمرض النفسي، من العلاج بالمعازف والغناء الذي حرمه الله ورسوله ﷺ، فإن شفاء الأمة لم يك قط فيما حرمه الله عليها، وعن أُمّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها-، أنها قالت: اشْتَكَتِ ابْنَةٌ لِي، فَنَبَذْتُ لَهَا فِي كُوزٍ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ - ﷺ -، وَهُوَ يَغْلِي، فَقَالَ (مَا هَذَا؟) فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَتِي اشْتَكَتْ فَنَبَذْنَا لَهَا هَذَا، فَقَالَ - ﷺ -: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِي حَرَامٍ). رواه ابن حبان وحسنه الألباني

❁وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ.

✉والمعلوم أن الأدوية ثلاثة:

❶دواء مشروع، كالرقية والعسل وزمزم ونحوها.

❷ودواء مباح، وهو ما لم يحرمه الشارع.

❸وأدوية محرمة، لا يجوز التداوي بها.

قَالَ - ﷺ -: (يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: ((الهَرَمُ)). صحيح الجامع

قَالَ - ﷺ -: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِلَّا السَّامَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: (الْمَوْتُ). صحيح الجامع

✉ثم ليعلم المرضى، أنه لا ينبغي التهاون بالصلاة حال المرض، فيجب أن يصلى الصلوات الخمس في وقتها إن استطاع، فإن لم يستطع جمع بين الظهر العصر، وبين المغرب والعشاء رخصة من الشارع الحكيم، كما يجب عليه أن يتطهر للصلاة التطهر الشرعي، فإن لم يستطع فإنه يتيمم، فإن لم يستطع فإنه يصلي على حاله ولا يدع الصلاة تفوت عن وقتها؛ لأن الله يقول: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن:16]، ويقول: (لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) [الأنعام:152].

📁**ومن الوصايا التي يُوصى بها المريض:**

أولًا: إحسان الظن بالله تعالى: وأن من أحسن ظنه بالله رزقه الله الراحة النفسية، وطمأنينة القلب، روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال: «إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ شَرًّا فَلَهُ».

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: (لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فَقَالَ لَهُ: (لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: (فَنَعَمْ إِذًا). رواه البخاري

❁ومهما اشتد المرض بالعبد فلا يتمنى الموت لأن المسلم لا يزيده عمره إلا خيرًا فإن كان لا بد فاعلا فليقل ما ورد في الحديث، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -:(لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي).

روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة أن النبي - ﷺ - قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

✉والله تعالى هو الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كَذَلِكَ، كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى.

فَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ . . فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

✉إياك أن تكوني ممن قال الله فيهم {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} [هود: 9].

وعَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ -، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ).

ثانيًا: الإكثار من ذكر الله ودعائه والإلحاح عليه في الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]. وقال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ....﴾ [النمل: 62]

قال ابن حجر: إن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العقاقير الطبية، وأن تأثير ذلك وانفصال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل.

ثالثًا: أن على المريض ألا يتعلق بالأسباب كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلق القلب بالذي أنزل الداء ولا يرفعه إلا هو، فإنه سبحانه هو الشافي لا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضًا بدنيًا أو نفسيًا، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80].

رابعًا: الصبر والاحتساب، وعدم الجزع والسخط، فإنه على قدر إيمان المؤمن يكون ابتلاؤه، روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

خامسًا: على المريض أن يرقي نفسه بالرقية الشرعية، كالفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي، ومن الأدعية المأثورة قوله - ﷺ -: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». ومنها قوله - ﷺ - للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

سادسًا: على المريض ألا ييأس من الشفاء، فالله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

قَالَ بَعْضُ الْسلف: ارْضَ عَنِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ بِكَ، فَإِنَّهُ مَا مَنَعَكَ إِلَّا لِيُعْطِيَكَ، وَلَا ابْتَلَاكَ إِلَّا لِيُعَافِيَكَ، وَلَا أَمْرَضَكَ إِلَّا لِيَشْفِيَكَ، وَلَا أَمَاتَكَ إِلَّا لِيُحْيِيَكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَ الرِّضَا عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ.

من أدب الإسلام أن يعود المسلم المريض ويتفقد حاله:

- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -قَالَ: (أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ) قَالَ سُفْيَانُ: " وَالعَانِي: الأَسِيرُ "صحيح البخاري

- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: " حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ". متفق عليه

فضل عيادة المريض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: " مَنْ عَادَ مَرِيضًا، نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا " حسنه الألباني في صحيح الجامع

وعَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، قَالَ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ)، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: (جَنَاهَا) صحيح مسلم

وقال - ﷺ - (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح

يستحب في العيادة أن يدعو العائد للمريض، ويدخل السرور على قلبه صحيح

وثمة معانٍ ولذّات لا يمكن التعبير عنها - فيما يذوقه المريضُ المؤمن - مِن اللذات العظيمة التي يجدها ساعةَ اللجوء إلى ربه، وعندما يدعوه مخلصاً مضطراً، وحدِّث ولا حرج عن لذة الرضا عن الله -عز وجل- عندما تمر لحظات الضيق على المريض وهو مقيد بسرير أو بغير ذلك من أنواع القيود، وحدِّث ولا حرج عما يجده المريض المؤمن من لذة الأنس بالله والرضا عنه، ولذة مناجاته بالدعاء، في معان لا يمكن أن يسطرها الإنسان أو يعبر عنها البيان.

اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِنا وَدُنْيَانا وَأَهْلِنا وَأَمْوالِنا، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنا، اللَّهُمَّ احْفَظْنِا مِنْ بَيْنَ أَيْدَيَّنا، وَمِنْ خَلْفِنا، وَعَنْ أَيمَاننا، وَعَنْ شِمَائِلِنا، وَمِنْ فَوْقِنا، وَنعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتنا، اللهم اشف مرضانا؛ وعافِ مبتلانا، اللهم اجعلنا شاكرين صابرين عابدين؛ لك حامدين.

المراجع:

❶ الابتلاء بالأمراض: سعود بن ابراهيم الشريم.

❷ المرض ابتلاء ونقاء: عمر بن عبد الله المقبل.

❸الابتلاء بالمرض: د. أمين بن عبد الله الشقاوي.

❹المرض فوائد وأسرار.

❺زاد الواعظين: الصبر على المرض.